خطبة صلاة الجمعة 27/ 2/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الرجوع عن الخطأ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ يُمْتَثَلُ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَبُ).

قال تعالى في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

قَالَتْ السيدة عائشة رضي الله عنها: (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّوم وَالصَّلاةِ**» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذ هي الخطبة السادسة في سلسلة خطب عنوانها: (**فضيلة... أخلاق تعاملية**)

الخُلق: هو السجية والطبع. وعرَّفه الإمام الغزالي بأنه: (هيئةٌ في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة).

يطبع اللهُ تعالى أُناساً على بعض الأخلاق النبيلة، بينما يحتاج آخرون إلى التَّدرب عليها والتَّطبع بها حتى تصبح طبعاً لهم وخلقاً.

بينما يطبع آخرين على خلال حميدة أخرى، فيحتاج الأولون إلى التدرب عليها لتصير لهم طبعاً وخلقاً. فيتساوى العباد في التشريف والتكليف.

فبإمكانِكَ التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانِكَ التطبع بالخصال الكريمة لتلتزمها. وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لايليق بمثلك.

وهذا هدف السلسلة.

عنوان خطبة اليوم: **(الرجوع عن الخطأ)**

الخطأ سمة البشر، والرجوع عنه سمة النجباء منهم.

يخطئ الكبير والصغير، والأمير والأجير، والذكر والأنثى، ولاضير في ذلك ولاعيب، ولكنَّ العيبَ كلَّ العيبِ، والضيرَّ كلَّ الضيرِ أن يُرشدَ هؤلاء إلى الحق فلا يرجعوا عن خطئهم إليه.

إنَّ من نوادر الأدب قصةً تقول: لقي عالم اللغة العربية سيبويه ابن صديق له، فسلَّم عليه وسأله: ما فعل أبوك بحمارِهِ، فقال الشاب: باعِهِ..! قال سيبويه: أخطأت يا ولدي، قل: باعَهُ. قال الشاب: لماذا؟ قلتَ أنت: بحمارِهِ، ولا ترضى مني أن أقول: باعِهِ.

قال: يا ولدي الباء عندي حرف جر، لذلك قلتُ: بحمارِهِ، اسم مجرور بالباء، أما الباء عندك فمن أصل الكلمة، باعه.

قال الشاب: ولماذا باؤك تجرُّ، وبائي لا تجرُّ؟ فأنهى سيبويه الحديث ومضى.

التشبث بالباطل والتمسك بالخطأ ينقص مكانة المرء، ويدعو الآخرين إلى الاستخفاف به، بينما يدعو الرجوع عن الخطأ الناس إلى إكبار من رجع، وإجلالِ من تاب وأناب.

أفتى سلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت 660هـ) مرةً بفُتيا، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: (مَنْ أفتى له فلانٌ بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ).

قال الحافظ عبدُ الغني بن سعيد الأزدي (ت409هـ): (لما رددتُ على أبي عبدالله الحاكم "الأوهامَ التي في المدخل" قرأ هذا على الناس، وبعثَ إليَّ يشكرني، ويدعو لي، فعلمتُ أنه رجلٌ عاقلٌ).

وذكروا عن الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت 204هـ) استُفتي في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه فاكترى منادياً فنادى: أن الحسن بن زياد استُفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه

بشيء فليرجع إليه. فمكث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحبَ الفتوى فأعلمه أنه قد أخطأ وأن الصواب كذا.

أيها الإخوة:

التوبة نوع من أنواع الرجوع عن الخطأ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31] ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 39].

والمسلم مدعُوٌّ للرجوع عن أخطائه مع الله تعالى، وللرجوع عن أخطائه مع العباد.

ويتطلب الرجوع عن الخطأ العلمَ بالحق، والندمَ على التفريط السابق، وردَّ الحق إلى أهله إن كان ثَمَّة حق لهم والاعتذار.

حدث مرةً أن أخطأ الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري فعيَّر بلالاً بأمه، فشكا بلالٌ أبا ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» فندم أبو ذرٍ لما كان منه، ورجع إلى الحق وأعلن توبته حتى إنه أمر بلالاً أن يطأ على وجهه، استرضاء له مما عيره به من سواد أمه.

واللافت أيها الإخوة أنَّ راوي مَطلعَ هذا الحديث في صحيح البخاري وغيره هو سيدنا أبو ذر الغفاري، فلم يتحرج رضي الله عنه أن يُبيّن للناس خطأه الماضي مادام قد رجع عنه.

ومشهورة قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد تحديد مهور النساء لما غالى الناس بمهور بناتهم، فردَّت اجتهادَه امرأةٌ على الملأ بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 20].

والقنطار: هو الكمية الكبيرة من المال، وقالت المرأة: يعطينا الله وتحرمنا، فقَالَ عُمَرُ: أَصَابَتِ امْرَأَةٌ وَأَخْطَأَ عُمَرُ.

أيها الإخوة:

إنَّ ضدَّ خلق الرجوع عن الخطأ الإصرارُ على الباطل، ولا يكون إلا من انحراف خُلقي شائنٍ مدفوعٍ بعوامل نفسية شتى، يدخل فيها الكِبرُ والاستعلاءُ والاعتزازُ بالإثم والأثرةُ المفرطة، ممزوجٍ هذا مع قسوةٍ في القلب.

ومن هنا وصف الله تعالى عباده المتقين بأنهم ربما أخطؤوا ولكنهم لايُصِرُّون على الخطأ والذنب، بل يرجعون للحق والصواب، فيستحقون بذلك ثواباً من ربهم وأجراً ونعم أجر العاملين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135، 136].

ومن تربية الإسلام للمسلم في الرجوع عن الخطأ أنه دعاه أن يُكَفِّر عن يمينه ويفعل الذي هو خير، إن حلف ألا يفعل شيئاً ثم وجد الخير في فعله، أو إن حلف أن يفعل شيئاً ووجد الخير ألا يفعل.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ**».

هذا من حيث القول، أما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَإِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَى خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**».

أيها الإخوة:

تفكرت في سبب تمسك بعض الناس بالخطأ وعدم رجوعهم عنه، فوجدت من أسباب ذلك:

1- الجهلُ بالخطأ أنه خطأ، وعلاج هذا بالعلم والتعليم.

2- خطأُ المبلِّغ لهم عن خطئهم فيقسو عليهم ويشهر بهم ويفضحهم به على رؤوس الأشهاد فينقمون عليه فيتمسكون بما هم عليه من الخطأ، فيخطئ في النصح والبيان، ويخطئون بالتمسك بالخطأ.

3- كِبْرٌ في النفس وتعَالٍ يمنع المخطئ أن يعترف بخطئه ليرجع عنه حتى لايظهر أمام الناس بمظهر المتراجع عن أقواله أو أفعاله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56].

4- قسوةٌ في القلب، تدعو المرء إلى التمسك بالخطأ والذنب، فلايرى الخطأ خطأً ولا الصواب صواباً، بل يرى الفساد صلاحاً والصلاح فساداً، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا

نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 11، 12]، وهؤلاء هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10].

أيها الإخوة:

تتفكك أُسَرٌ ويقع الطلاقُ بسبب خطأ ارتكبته الزوجة ثم لم ترض الرجوع عنه والاعتذار، أو بسبب خطأ ارتكبه الزوج وتشبث به ولم يرض التراجع عنه.

تقع خصومات طويلة الأجل بسبب خطأ يرتكبه شريكٌ مع شريكه أو جارٌ مع جاره، وعدم رضاه أن يعترف بخطئه من بعد ماتبين له.

تحدث قطيعةٌ بين أخوين أو قريبين أو بين أب وابنه أو أم وبنتها لخطأ يرتكبه واحد من هؤلاء ويأبى الرجوع عنه.

فعدم الرجوع عن الخطأ خلقٌ ذميمٌ، وطبعٌ لئيمٌ، فكيف الشفاء منه.

إنَّ من يركبُ رأسَه ويعبدُ هواه ويمضي في خطئه بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، كل هذا بسبب عدم الرجوع عن الخطأ، فكيف الشفاء منه.

كيف أتدرب على الرجوع عن الخطأ؟ إليكم أدويةً أربعة تساعد على الشفاء بإذن الله:

1- ثق بنفسك، لأن كثيراً من المصرّين على الخطأ يشعرون بضعف نفوسهم ومكانتهم في الحياة، فيعتقدون أنهم باعترافهم بالخطأ يزدادون ضعفاً، ولو علموا أنَّ لهم مكانة جيدة وملكات كثيرة لما ترفعوا عن الاعتراف بالخطأ.

فثق بنفسك وبأن الله تعالى أعطاك الكثير من المواهب والقدرات، فاستخرجها ونمِّها واستثمرها، واعلم يقيناً بأنَّ رجوعك عن الخطأ لايُنقص من مكانتك شيئاً، بل يزيدك تألقاً وقوةً واحتراماً في عيون الكبار.

2- أكثر من ذكر ربك، حتى يلين قلبك القاسي ويشفى قلبك المريض، ففي ذكره سبحانه الشفاء، وفي الأنس به جل جلاله الدواء، فإنَّ من أسباب عدم الرجوع عن الخطأ قسوة القلب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحيانا فننتكس

3- أَكْثِر من القراءة في قصص الرَّجاعين عن الخطأ من العلماء والفضلاء والأتقياء لتمتلك الشجاعة لتتأسى بهم.

4- ادعُ الله تعالى أن يُريك الحق حقاً ويرزقَكَ اتّباعه، ففي أدعية من تقدم:

(اللهم أرنا الحقَّ حقاً ووفقنا لاتباعه، وأرنا الباطلَ باطلاً ووفقنا لاجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل).

هذا شيء من الحديث عن الرجوع عن الخطأ وعن أسبابه وعلاجه، وللموضوع تتمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين